كلمة أخيرة

هل هنالك كلمة أخيرة تفي حق هذا المسرحي؟ بالطبع لا. لقد آثرت في هذه المقالة الاستعراضية ان لا اقدّم دراسة نقدية، او فكرية، بقدر ما آثرت ان أقدم صورة لعالم هذا المسرحي الفذّ، مستعيناً، حيناً، ببعض النصوص المسرحية، وأحياناً ببعض الشروحات والتفاسير التي تسهم في اغناء، وتوضيح، عالم هذا المسرحي. وقد تكون هذه المقالة حافزاً على ترجمة نصوص لليفين الى العربية. فلحدّ علمي، لم يترجم أي من نصوصه الى العربية حتى الآن.

اضافة الى ذلك، يجب الاشارة الى ان هذه المقالة السريعة، ليست الّا تقديماً لدراسة شاملة عن عمل هذا المسرحي الكبير. وقد تشكّل المقالة نواة صغيرة لدراسة كبيرة تصبو الى التعريف أكثر بعمل هذا الكاتب. ففي أعمال ليفين التالية (لم نتطرق الّا لأعماله الاولى)، أخذ الرمز والاستعارة والاساليب الفنية العالية تحل محل المباشرة، واختفت الحدة العلنية لتحل محلها الحدة المضمرة في بُنى النص التحتية.

لقد استطاع ليفين ان يخلق في «انتِ وأنا والحرب المقبلة» و«كطشوب» و«ملكة الحمّام» جهاز نقد سياسي. وفسّر الناقد كلدرون الامر بأنه يتركّز بالخداع، والالم الذي يتركه على الفرد. و«لا خيار»، لعدم نشوب حرب، هي الكذبة الكبرى التي كان على ليفين ان يعرّيها، لأنها هي الخداع الذي كان الساسة يبرّرون به حروبهم[٩].

ان كذب «اللامناص» من الحرب، او حالة «اللاخيار»، عرّاهما ليفين في مسرحه. لقد تشكّلت ظاهرة ليفين الانتقادية ضمن سياق البلاد الحربي. ولم يجد ليفين بدّاً الّا ان يعرّي، ويهاجم، الجهاز الذي يدفع بالناس الى الحرب الضروس. لذا، يتحدث الكثيرون، اليوم، عن ان ليفين استطاع ان يسبق الاحداث في احيان ويتوقعها؛ كما ان اقواله ما زالت تكتسب مصداقيتها من الواقع الذي نعيشه. لذا، تتميّز الظاهرة الليفينية بقدرتها على الرؤية والرؤيا وبانتقادها لطبيعة الحياة العسكرية[١٠].

ان علاقات الاشخاص في مسرح ليفين تبنى على أساس القوي والضعيف، وحلم الفرد بالوصول بالتسلط. قد ينبع هذا الحلم من الوضع الذي يعيشه شخوص مسرحه. انهم حالمون بالافضل، وعلى استعداد لاذلال الآخر اذا ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً. لقد كتب كلدرون عن علاقة السلطة بمسرح ليفين ما يلي: «لقد انزلوا بصرخات ' ملكة الحمام' لأن امكانية عدم صدقهم اخافتهم. انهم يتألقون من الراحة في ' تجّار المطاط' ؛ ذلك لأنه، هناك، لا يوجد غير صادقين، كلهم في الهوا سوا»[١١].

لقد استطاع ليفين، بجرأة نادرة، في أواخر الستينات، ان يقف ضد «الاجماع القومي» ويعلن ان الاحتلال مسبّة وعار لا بد من التخلّص منه بأسرع ما يمكن. ولقد وظّف كل قدراته المسرحية ليؤكد ان امكانية الحياة مع الاحتلال هي امكانية مجنونة، واليوم يتأكد الامر أكثر فأكثر.

ولم يكتف ليفين بذلك، بل استفز، بعد اجتياح اسرائيل للبنان سنة ١٩٨٢، وكتب مسرحية «الوطني»، التي ازعجت السلطات وبعض الجمهور، لأنها ضربت على نغمة «اللااجماع القومي» ثانية.

في مجموع الاصوات الادبية العبرية الشابة، يظل حانوخ ليفين من أهمّ الاصوات، ان لم يكن أهمها. مسرح ليفين واسع وشامل. ويصعب حصر انتاج هذا المسرحي في مقالة، لا سيما وان